

اللغة والمجتمع: نحو تقاطع سوسبولوجي بين أنطوان ماييه وويليام لابوف

Language and Society: Sociological Intersections Between Antoine Meillet and William Labov

محمد زيان * ZIAN Mohamed

m.zian@univ-chlef.dz

عيسى بنيرد BENAIRE Aissa

a.benaire@univ-chlef.dz

جامعة حسية بن بوعلي بالشلف/ الجزائر

DOI: 10.46315/1714-015-002-006

الإرسال: 2025/07/11 القبول: 2025/12/05 النشر: 2026/06/10

**

ملخص:

يتناول المقال العلاقة بين اتجاهين رئيسيين في اللسانيات: الأول يُؤسّس لفهم اللغة كبنية اجتماعية تتشكل في سياقات تاريخية وفلسفية، والثاني يُطبّق هذا الفهم ميدانيًا من خلال دراسات تعتمد على متغيرات اجتماعية مثل: الجندر، الطبقة، والموقع الجغرافي. ينطلق من فرضية أن النظرية الاجتماعية للغة، رغم جذورها التقليدية، تطورت باستخدام أدوات كمية وتحليلية سمحت برصد الظواهر اللغوية في سياقاتها الحية. ويؤكد المقال على وجود استمرارية معرفية بين الاتجاهين، ويبرز أن الممارسة التطبيقية لم تفصل اللسانيات عن أصولها الفكرية. الهدف من المقال هو إعادة فهم نشأة اللسانيات الاجتماعية من خلال تقاطع النظرية والتطبيق دون الوقوع في اختزال أحدهما بالآخر. كلمات مفتاحية: اللسانيات الاجتماعية؛ التغير اللغوي؛ التنظير والتطبيق؛ أنطوان ماييه؛ وويليام لابوف.

Abstract:

This article investigates the interplay between two influential strands in linguistic theory: one that conceptualizes language as a socially embedded structure shaped by historical and philosophical currents, and another that applies this conceptualization through empirical research grounded in social variables such as gender, class, and geography. It posits that while the social perspective on language emerged within a traditional intellectual context, it has been significantly refined through quantitative and analytical methodologies that facilitate the observation of linguistic phenomena in real-life social settings. Despite differences in theoretical orientations and methodological approaches, the article highlights a persistent epistemological continuity between both strands. The study aims to reassess the development of sociolinguistics by examining how theoretical and empirical approaches converge, without reducing one to the other.

Keywords: Sociolinguistics; Linguistic Change; Theory and Practice; Antoine Meillet; William Labov.

**

* - الباحث المرسل: m.zian@univ-chlef.dz

1. مقدمة:

تُمثل اللغة، في نظر العلوم الاجتماعية، أكثر من مجرد أداة تواصل. إنها نظام رمزي تتقاطع فيه البنية مع المجتمع، وتمتد لتكون انعكاسًا للتراتبيات، التحيزات، والتحويلات الثقافية. من هذا المنطلق، تبرز اللسانيات الاجتماعية ك تخصص يهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين اللغة والمجتمع، عبر تحليل السياقات الاجتماعية التي تتشكل فيها الممارسات اللغوية وتتغير.

لقد تأسست اللسانيات الاجتماعية على يد باحثين من خلفيات معرفية متعددة، لكن اللافت أن الإسهامات الكبرى جاءت من اتجاهين مختلفين: من جهة أولى، المدرسة الفرنسية ذات الطابع النظري/التاريخي. كما عند أنطوان ماييه (Antoine Meillet)، ومن جهة ثانية، المدرسة الأمريكية ذات النزعة التجريبية. كما عند ويليام لابوف (William Labov)، رائد البحث الميداني في الظواهر اللغوية.

يُعد أنطوان ماييه أول من أكد أن اللغة لا يمكن فهمها بمعزل عن المجتمع، إذ يرى أن «كل ظاهرة لغوية لها أصل اجتماعي» (Meillet, 1912, p. 131)، وقد سعى إلى تطوير مقاربة تعتبر اللغة مؤسسة اجتماعية تتغير حسب شروط الجماعة التي تنتجها وتعيد تشكيلها. أما ويليام لابوف، فقد ابتكر منهجًا ميدانيًا في دراسة التغيرات اللغوية، يربط بين البنية الصوتية والنحو والسياقات الاجتماعية ك العمر، الطبقة، والجندر (Labov, 1972, p. 185)، إذ انتقل من التصورات النظرية إلى الرصد العملي الدقيق للغة كما تُمارس في الواقع الحي، وعلى الرغم من تباعد السياقين النظريين والزمنيين بين ماييه ولابوف، فإن كليهما يقدّمان وجهات نظر متقاطعة حول اللغة ك فعل اجتماعي، مما يطرح تساؤلات مهمة حول إمكانية قراءة الامتداد التاريخي بين التفكير السوسiolوحي الكلاسيكي للغة والمقاربة الاجتماعية الحديثة لها.

إنّ الإشكالية المركزية التي نحاول معالجتها هي: كيف يتقاطع التصور النظري الاجتماعي للغة عند أنطوان ماييه مع المقاربة الميدانية التجريبية عند ويليام لابوف؟ وهل يمكن اعتبار الأول أساسًا فلسفيًا للثاني رغم الفروق المنهجية والإبستمولوجية؟.

2. المنهجية:

تهدف هذه الدراسة إلى بناء جسر معرفي بين الفكرين، من خلال تحليل النصوص المرجعية لكل من ماييه ولابوف، وتتبع تمثيلات اللغة في أعمالهما بوصفها نسقًا اجتماعيًا حيًا يتفاعل مع البنية والسلطة والهوية، وتكمن أهمية هذه المقارنة في كونها تسهم في سد فجوة بحثية نادرة إذ عادة ما يتم تناول ماييه في إطار تاريخي ولساني صرف، بينما يُقدّم لابوف كباحث ميداني منقطع الصلة بالمروروث الفرنسي، في حين أن الربط بينهما يفتح أفقًا لفهم تحول علم اللغة من رؤية اجتماعية فلسفية إلى ممارسة تحليلية ميدانية.

تُشير بعض الدراسات، مثل دراسة لويس جان كالفي، إلى أن «لابوف لم يكن يشتغل في فراغ، بل كانت لديه جذور مفاهيمية تعود إلى أوروبا، لاسيما ما قاله ماييه حول التغير اللغوي كظاهرة اجتماعية (Calvet, 1993, p. 47). كما يلفت آلان بيرونونير إلى أن المدرسة الفرنسية اللسانية كانت سبّاقة في اعتبار اللغة ك«بنية متجذرة في شروط الحياة الاجتماعية»، وهو ما يتقاطع مع ما طرح لابوف لاحقًا في حديثه عن الترتيب الاجتماعي (Berrendonner, 1999, p. 214). غير أن الفرق بين الباحثين يكمن في المنهج: إذ ظل ماييه ضمن الفضاء الفلسفي والتاريخي، ولم ينزل إلى الحقل اللغوي الحي، بينما بدأ لابوف من الميدان، ليرصد أثر المتغيرات الاجتماعية في التلفظات والتحويلات البنيوية. يخفي هذا التباعد الظاهري تقاربًا على مستوى الخلفية الفكرية: كلاهما يشتركان في الرؤية إلى اللغة كمنتج اجتماعي، لا يمكن عزله عن شروط إنتاجه التاريخي والجماعي. لذلك، يقترح المقال قراءة تحليلية مزدوجة: تبدأ من تصور ماييه للغة كبنية اجتماعية تتطور وفق آليات الجماعة، وتنتهي عند لابوف الذي يراقب كيف تتفاعل تلك الآليات في الواقع الحي، خصوصًا عبر دراسة الطبقة والجندر والجغرافيا.

حاولنا من خلال هذه المقال النظري التحليلي المقارن، إعادة النظر في جذور اللسانيات الاجتماعية، وطرح إمكانات العودة إلى التأسيس النظري الفرنسي بوصفه حجر أساس في تشكل الحقل كما نعرفه اليوم، فاعتمدنا على المنهج التحليلي المقارن، والذي يُعد من المناهج الأساسية في العلوم الإنسانية، خاصة عند تناول مفكرين أو نظريتين تنتميان إلى سياقين معرفيين وتاريخيين مختلفين. يقوم هذا المنهج على تفكيك التصورات النظرية لكل من ماييه ولابوف حول العلاقة بين اللغة والمجتمع، ومن ثم إبراز نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما، على مستوى الرؤية النظرية والمنطلقات المعرفية والمنهجية، وقد تم تحليل عدد من النصوص الأساسية لكل منهما، اعتمادًا على إطار نظري مزدوج:

1. المقاربة البنيوية الاجتماعية كما عبّر عنها ماييه، وتستند إلى تأثيرات دوركايم ومفاهيم الكل الاجتماعي والتماثل اللغوي.

2. المقاربة الوضعانية التجريبية لدى لابوف، والتي تنطلق من ملاحظات ميدانية مباشرة وتربط اللغة بالعوامل الاجتماعية مثل الطبقة والعرق والنوع.

في النهاية، لا يدعي هذا المقال تقديم قراءة حصرية أو حتمية، بل هدفه تسليط الضوء على لحظة معرفية مفصلية تربط بين ماييه ولابوف، وفتح النقاش أمام التقاطع النظري والتطبيقي، التاريخي والميداني، داخل اللسانيات الاجتماعية.

3. نتائج المقارنة بين ماييه ولا بوف:

1-3. أنطوان ماييه واللغة كبنية اجتماعية:

1-1-3. السياق التاريخي والمعرفي لفكر ماييه:

وُلد أنطوان ماييه سنة 1866، في لحظة حاسمة من تاريخ اللسانيات الأوروبية، حيث كانت اللغة تُدرس بوصفها بنية قواعدية وصوتية، دون النظر إلى جذورها الاجتماعية، إذ تأثر بمدرسة اللسانيات المقارنة، وخصوصاً أعمال فرناند برونو، لكنه تجاوز المنظور الصرف البنيوي لي طرح تساؤلاً جوهرياً: كيف تتغير اللغة؟ ولماذا؟، وكان هذا التساؤل بمثابة تمهيد لتحول نوعي في علم اللسانيات، خصوصاً حين أدرك أن اللغة لا تتغير من تلقاء ذاتها، بل تتغير بفعل عوامل اجتماعية تمارس تأثيرها على الجماعة الناطقة (Meillet, 1912, p. 3)، فاللغة كظاهرة اجتماعية لا طبيعية يقول ماييه بوضوح «كل تغيير لغوي هو أولاً وقبل كل شيء تغيير اجتماعي» (Meillet, 1912, p. 131).

يرى ماييه أن اللغة ليست كياناً عضوياً مثل الكائن الحي، كما تصورها بعض اللسانيين الألمان، بل نظام تُنتجه الجماعة ويتجدد بتجدد البنى الاجتماعية. وبالتالي، فهي ليست فقط وسيلة لنقل المعنى، بل آلية تُعيد إنتاج الهرمية، السلطة، والعادات الاجتماعية (Ager, 2001, p. 22).

1-2-3. التغير اللغوي والعوامل الاجتماعية:

يعتبر ماييه أن التغير اللغوي مرتبط بعوامل مثل الطبقة، التعليم، العلاقات الاقتصادية، والحراك الاجتماعي. مثلاً، لا يحدث التحول في النطق بسبب «فساد اللغة»، بل لأن طبقة معينة تبدأ باستعمال شكل جديد لأسباب مرتبطة بالرمزية الاجتماعية (Meillet, 1921, p. 74)، وفي هذا السياق، يمكن فهم مفهومه لـ «اللغة المشتركة» (la langue commune) بوصفه تعبيراً عن استقرار نسبي تُحدده موازين القوى داخل المجتمع. لذلك، فإن اللغة عنده مرآة للتغيرات المجتمعية، وليست مجرد نظام داخلي مغلق كما تصوّره سوسور لاحقاً.

1-3-3. ماييه ودي سوسور، نقد البنيوية قبل ولادتها:

رغم أن ماييه كان معاصراً لـ فرديناند دي سوسور، إلا أنه اتخذ موقفاً نقدياً ضمنيّاً من فكرته حول الفصل بين «اللسان والكلام» (langue/parole) بالنسبة لماييه، لا يمكن فصل بنية اللغة عن استعمالها داخل الجماعة، لأن ما يُرسخ التراكيب اللغوية هو القوة الرمزية والاجتماعية لا مجرد النظام التجريدي. حيث كتب ماييه: «لا توجد لغة حية بلا جماعة، ولا جماعة بلا علاقات قوى تنعكس في ممارستها اللغوية» (Meillet, 1937, p. 93).

1-4-3. الوظيفة الاجتماعية للغة:

تؤدي اللغة حسب ماييه وظائف تتجاوز التواصل، فهي تُستخدم لتثبيت الانتماء، تمييز الطبقات، وتنظيم علاقات السلطة داخل المجتمع، على سبيل المثال، تختلف طريقة خطاب رجل

الدين عن خطاب التاجر أو السياسي، ليس فقط في المضمون بل في الأسلوب اللساني نفسه (Calvet, 1993, p. 56). كما أن التلفظ نفسه يصبح علامة على الانتماء أو الاغتراب، وهذه الفكرة بالضبط ستنتقل لاحقاً إلى لابوف، لكنها تعود جوهرياً إلى ماييه.

بمعنى أن طريقة استعمال اللغة تختلف حسب الموقع الاجتماعي للمتكمّل، ليس فقط من حيث محتوى الكلام، بل من حيث الأسلوب اللغوي نفسه-مفرداته، نبرته، بنيته النحوية. هذه الأساليب المختلفة تعكس وتعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية القائمة، بل إن الطريقة التي يُنطق بها الكلام (التلفظ) قد تتحول إلى مؤشر اجتماعي على الانتماء أو الغربة، بحيث تصبح اللغة وسيلة «للتصنيف الطبقي الرمزي»، وهو تصور سيجري لاحقاً تطويره منهجياً وميدانياً لدى لابوف، خاصة في دراساته عن التنوع الطبقي والجغرافي في النطق.

3-1-5. اللغة كتراث مشترك ومجال للصراع:

يرى ماييه أن اللغة، وإن كانت تُنتج داخل الجماعة بوصفها تراثاً رمزياً مشتركاً، فإنها تظل فضاءً للصراع بين الفئات الاجتماعية، حيث تعكس المحافظة على الشكل اللغوي نزعة للهيمنة الثقافية، بينما يشكل التغيير اللغوي محاولة لفرض نموذج بديل. هذه الرؤية تُبرز البعد الاجتماعي للصراع الرمزي داخل اللغة، وهو ما جعل بعض الباحثين يعتبرون أن ماييه قد مهّد الطريق لتحليلات لاحقة عند علماء الاجتماع مثل بيير بورديو. فقد أكد بيير راغو (Pierre Ragot) في تقديمه أن ماييه دمج بين تحليل البنية اللغوية وتفسيرها في ضوء المجتمع والثقافة، مشيراً إلى العلاقة بين التحول اللغوي والتوترات الاجتماعية (Pinault, 2017, p. 179). كما خصص أحد الفصول (الفصل 2) لموضوع «التغيير اللغوي والواقع الاجتماعي»، وارتبط ذلك صراحةً بمرجعية إميل دوركايم والمدرسة الفرنسية في السوسولوجيا.

3-1-6. أثر ماييه في تطور اللسانيات الاجتماعية:

إن تأثير ماييه لا يقتصر على فرنسا، بل امتد إلى باحثين في أوروبا الوسطى، مثل: مارسيل كوهين (M, Cohen) وجوزيف فندريس (J, Vendryes) وهما أحد تلامذته، اللذان طوّرا فكرته حول اللغة كنتاج اجتماعي. إذ يرى كوهين أن القواعد والمعجم لا يمكن فصلهما عن الاستعمال الواعي أو اللاواعي داخل الجماعة، فالخطاب الفردي دائماً ما يحدث في إطار اجتماعي لا يعمل بدون بنية لغوية، حتى في لحظات الحوار الداخلي (Cohen, 1956, pp. 89-90)، أما جوزيف فاندريس، فيقول «إن درس ماييه هو أن اللغة ليست نتاج الأفراد، بل محصلة تفاعل قوى اجتماعية» (Vendryes, 1923, p. 21).

رغم أن تأثير ماييه لم ينتقل مباشرة إلى الدوائر اللسانية في الولايات المتحدة، إلا أن أفكاره حول اللغة كظاهرة اجتماعية وثقافية تسرّبت إلى أعمال بعض رواد الأنثروبولوجيا اللغوية الأمريكيين، مثل إدوارد ساپير (Edward Sapir) وفرانز بواس (Franz Boas) حيث أسهم هذا التأثير غير المباشر لاحقًا في التمهيد لنشوء المدرسة السوسiolسانية الأمريكية، التي يمثلها لابوف، حيث أُعيد تفعيل الطرح القائل بأن اللغة تتغير ضمن شبكات اجتماعية حية وتتفاعل مع الهويات والسلطة والطبقات (Joseph, 2002, pp. 93-95).

رغم قوة أطروحات ماييه إلا أنه لم يُطوّر أدوات ميدانية لإثبات تحليلاته، وظل اعتماده الأكبر على الوثائق والنصوص التاريخية. كما أن تصوره للغة الجماعة بقي عامًا، دون دراسة دقيقة لفروق الطبقة أو الجندر أو الجغرافيا كما سيفعل لابوف لاحقًا، ومع ذلك، فإن الأساس الذي وضعه ماييه هو الذي مكّن فيما بعد من بناء نظريات ميدانية تُركّز على الأداء الفعلي للغة في الحياة الاجتماعية. يمكن القول أن ماييه مثّل حلقة وصل بين اللسانيات التاريخية الكلاسيكية واللسانيات الاجتماعية المعاصرة، فلقد حرّز اللغة من انغلاقها البنيوي، وفتحها على المجتمع، مؤكدًا أن الفهم الحقيقي للغة لا يتم إلا في ضوء البنية الاجتماعية التي تنشئها، وهذا التصور يمهد لفهم أعمال لابوف التي ستبنى على فكرة: أن ما يُغيّر اللغة ليس الخطأ أو الفساد، بل الممارسة الاجتماعية المتغيرة.

2-3. ويليام لابوف واللغة كأداء اجتماعي متغير:

1-2-3. من الفونولوجيا إلى اللسانيات الاجتماعية:

وُلد لابوف عام 1927 في ولاية نيوجيرسي الأمريكية، وبدأ مسيرته العلمية من خلفية في علم الصوتيات (phonology)، قبل أن ينتقل تدريجيًا إلى الحقل الاجتماعي، وكانت انطلاقته الحقيقية في الستينيات، حين بدأ يشكّك في الطرح البنيوي السائد الذي يفصل اللغة عن الواقع الاجتماعي، معتبرًا أن هذا الفصل يُنتج لسانًا لا أحد ينطق به (Labov, 1972, p. xii)، إذ رأى أن الدراسة الجادة للغة لا تكتمل دون النظر في كيفية تداولها بين الناس، وتأثيرها بالفئة والانتماء والمجتمع. فاللغة كما تُنطق لا كما تُفترض: وبذلك فهي ليست نظامًا مغلقًا، بل هي تجسيد حي للتفاعل بين الأفراد ضمن علاقات سلطة وانتماء.

انتقد لابوف البحوث التي تبني فرضياتها على نصوص مكتوبة أو على ما يُسمّى بـ «اللغة المعيارية»، ووجّه الاهتمام إلى «اللغة المنطوقة» كما تُداول في الشارع والمدرسة والعمل (Labov, 1966, p. 12). ولذلك يقول «يجب أن نُصغي إلى الناس حين يتكلمون، لا أن نُعيد بناء ما كان ينبغي أن يقولوه» (Labov, 1972, p. 4).

2-2-3. المتغير اللغوي: فتح علمي جديد:

يُعد مفهوم المتغير اللغوي (linguistic variable) من أبرز إسهامات لابوف في علم الاجتماع اللغوي، ويشير إلى شكل لغوي (كصوت أو بنية نحوية) يُستعمل بصيغ مختلفة ضمن الجماعة اللغوية الواحدة، وتختلف هذه الصيغ باختلاف المتغيرات الاجتماعية مثل الطبقة، العمر، أو السياق التفاعلي، ففي دراسته الشهيرة حول نطق /r/ في نهاية الكلمات بنيويورك، أظهر لابوف أن هذا النطق لا يخضع للصدفة، بل تحدده بنية المجتمع وتصوراتهِ عن اللغة المعيارية أو الراقي (Labov, 1966, p. 86).

2-3-3. دراسة لابوف في نيويورك: المتغير اللغوي والطبقة

زار لابوف في دراسته الكلاسيكية حول "التمييز الطبقي في نطق /r/"، ثلاث متاجر (Saks, Macy's, S. Klein) ذات فئات اجتماعية مختلفة، وطلب من الموظفين إعادة عبارة الطابق الرابع «fourth floor» ليرصد كيف ينطقون (/r/) هل تُلفظ أم تُحذف؟، واكتشف أن الطبقة المتوسطة تُفطر في نطق /r/، في محاولة لتقليد الفئات العليا، فيما كانت الطبقات الدنيا أقل استعمالاً لها (Labov, 1966, p. 122)، فخلُص إلى أن التغير اللغوي يرتبط بالحراك الاجتماعي، وبالرغبة في الانتماء إلى الأعلى.

صاغ انطلاقاً من دراسته مفهومي «التغير من أعلى (change from above)» و«التغير من أسفل (change from below)»، فالتغير من أعلى يحدث حين تتبنى الطبقات العليا شكلاً لغوياً جديداً وتفرضه كمعيار مثل نطق (/r/)، فيما ينشأ التغير من أسفل ضمن القواعد الشعبية دون وعي، ثم يصعد تدريجياً، وهذا المفهوم مثّل قطيعة مع التصورات الكلاسيكية للتغير اللغوي، التي تراه تلقائياً أو غير واع.

2-3-4. الدراسة الثانية، جزيرة مارثا فينيارد:

تقع جزيرة مارثا «بمدينة ماساشوستس (Massachusetts)، وهي إحدى الجزر الواقعة على مسافة قريبة من شاطئ نيو انغلند (Now England) حيث تتواجد فيها حوالي 6000 من مزارع الكروم الأصلية وتتوزع على أربع مجموعات اجتماعية فرعية: أحفاد سلالة الإنجليز منذ القرن 17، والمهاجرين من أصل برتغالي، الهنود، ومجموعات متنوعة من (الفرس، الألمان، والبولونيين) ويمثلون 15% من المجموع الكلي» (زيان، 2018، صفحة 381).

أجرى لابوف في دراسته بحثاً على سكان الجزيرة Martha's Vineyard، فلاحظ تغيراً في نطق الأصوات المتحركة المركبة (diphthongs)، وتبين أن الشباب المحليين المتعلقين بهويتهم الريفية بدأوا ينطقون الأصوات بطريقة مخالفة للسياح، كنوع من المقاومة الثقافية (Labov, 1972, p.

(190). أي أنهم يعيدون تأكيد هويتهم من خلال النطق المختلف، رفضاً لتغريب لهجتهم أمام الغرباء، وهذا التغير ليس عشوائياً بل هو فعل رمزي مقصود. أبرزت هذه الدراسة أن التغير اللغوي ليس فقط اقتصادي أو طبقي، بل يمكن أن يكون هوياتي ومقاوم.

2-3-5. اللغة والطبقة الاجتماعية: من نتائج أبحاث لابوف المهمة أن اللغة تتميز حسب الانتماء الطبقي، وهذا التمايز ليس فقط في المعجم بل في البنية الصوتية والتركيبية، حيث لاحظ أن الطبقة المتوسطة تتبنى اللغة المعيارية بشكل انتقائي لتعزيز مكانتها الاجتماعية، بينما تحتفظ الطبقة العاملة بأشكال أكثر "محلية". هذا التمايز يعكس ما يسميه "الذوق اللغوي الطبقي"، وهي فكرة ستتناق لاحقاً مع تحليلات بورديو (Bourdieu, Paris, p. 88).

2-3-6. اللغة والجنس: لاحظ لابوف أن النساء غالباً ما يكنّ أكثر «حرصاً لغوياً» من الرجال، ويشاركن بقوة في نشر التغيرات من الأعلى (أي تلك المرتبطة بالمعايير الرسمية أو الطبقات الاجتماعية العليا)، ويعود ذلك -حسب تحليله- إلى أن المرأة أكثر ارتباطاً بالرمزية الاجتماعية للغة، بما تحمله من دلالات تتعلق بـ السمعة، والاعتراف الاجتماعي (Labov, 2001, p. 293)، وبهذا الطرح، أضاف لابوف بُعد الجنس إلى دراسات اللسانيات الاجتماعية، مما مهد الطريق لأعمال لاحقة ركزت بشكل أعمق على العلاقة بين اللغة والنوع الاجتماعي، خاصة في سياق الدراسات النسوية اللغوية التي توسعت في تناول هذا الجانب لاحقاً.

2-3-7. التأثيرات والمساهمات:

أثّرت أعمال لابوف في حقول متعددة: التعليم، السياسة اللغوية، علم اللغة التطبيقي، دراسات الهوية. كما ساهم في تطوير منهج المقابلة الاجتماعية/اللغوية، وإدخال أدوات التسجيل والملاحظة الدقيقة ضمن العمل الميداني، ويتميز أسلوبه بدمج الكمي والكيفي، والقدرة على تحويل الملاحظات اللغوية البسيطة إلى أنماط اجتماعية كبرى.

يمثل لابوف تحولاً معرفياً جذرياً في دراسة اللغة: من النظرية إلى الأداء، من النص إلى الصوت، من البنية إلى المجتمع. وإذا كان ماييه قد مهد الطريق نظرياً، فإن لابوف أعاد صياغة اللسانيات الاجتماعية كعلم ميداني صارم، يدرس اللغة بوصفها مرآة للتفاوت الاجتماعي، وأداة لإنتاج الهوية والسلطة.

4. مناقشة التقاطعات والاختلافات في اللسانيات الاجتماعية:

1-4. الإطار المفاهيمي العام للغة والمجتمع:

يُعد ماييه من الأوائل الذين أكدوا أن اللغة ليست كياناً فردياً أو نفسياً بل نتاج اجتماعي، فيقول: «إن التغيرات اللغوية لا تُفهم إلا في ضوء الحياة الاجتماعية للجماعة» (Meillet, 1912, p. 133). بالمقابل، تبنت لابوف المفهوم نفسه لكن بأسلوب تطبيقي ميداني، إذ انطلق من فرضية

أن «اللغة كما يتحدث بها الناس لا تنفصل عن المجتمع الذي يعيشون فيه» (Labov, 1972, p. 72). وكذلك كلا الباحثين يعترضان على فكرة اللغة «الخالية من السياق»، ويعتبران أن أي تحليل لغوي لا يُراعي البيئة الاجتماعية هو تحليل قاصر، إلا أن ماييه ركّز على اللغة في سياقها البنيوي والتاريخي، بينما ركّز لابوف على الأداء الحي في الحاضر، مستخدماً أدوات القياس الميداني. تُبرز المقارنة بينهما أن ماييه وضع الأساس النظري لما يُعرف اليوم بـ«اللغة بوصفها مؤسسة اجتماعية»، في حين جعل لابوف هذه المؤسسة «حيوية ومتغيرة وديناميكية».

2-4. التصورات حول التغير اللغوي:

ميّز ماييه بين التغير اللغوي «المنظم» و«العفوي»، لكنه لم يُخضع هذه التصنيفات لتحقيق تجريبي ميداني، بل اكتفى ببيانات تاريخية ونصوص مكتوبة (Meillet, 1921, p. 98). وعلى النقيض، أنجز لابوف دراسات مشهورة، أبرزها في نيويورك وجزيرة مارثا كما أشرنا آنفاً، أثبت فيها أن التغير اللغوي مرتبط بديناميات اجتماعية حية مثل: الطبقة، والهوية، والمقاومة (Labov, 1972, p. 121)، حيث فرّق بين «التغير من أعلى» الذي يبدأ من النخبة، و«التغير من أسفل» الذي يبدأ من القاعدة الشعبية، وهو ما لا نجده عند ماييه كتمييز اصطلاحي (Labov, 1972, p. 114).

يقر كلا من ماييه ولابوف بأن اللغة تتغير، لكن لابوف هو من أدخل أدوات تتبع هذا التغير «في الزمن الحي»، وليس فقط على الورق، عبر مقارنة الأنماط في السياق الواقعي، وتكشف المقارنة أن ماييه يُحلّل «التغير كمفهوم»، أما لابوف فيقيس «التغير كواقعة»، مما يجعل العلاقة بينهما تكاملية أكثر منها متضادة.

3-4. المتحدثون: الجماعة أم الفرد؟

يرى ماييه أن الجماعة اللغوية هي الفاعل الحقيقي في التغير، لا الأفراد، إذ يؤكد أن: «اللغة تتبع سلوكاً جماعياً، لا نية فردية» (Meillet, 1912, p. 139). أما لابوف، فيركز على أن المتكلم الفرد هو من يُفاوض على موقعه الاجتماعي عبر اللغة، ما يجعل الفروقات في الأداء دالة على التموقع الطبقي أو الجندري (Labov, 1972, p. 209)، ففي دراسته حول نطق /r/ في نيويورك، أظهر لابوف كيف أن الموظفين غيروا نطقهم وفقاً لمكان العمل، ما يُشير إلى دور الفرد في استراتيجيات التكيف (Labov, 1966, p. 115).

إن الفرق الأساسي بينما كون ماييه يُجمد الفاعل في «مفهوم الجماعة»، بينما يُحييه لابوف في «أداء المتكلم»، ويظهره فاعلاً اجتماعياً واعياً أو شبه واع، وتكشف المقارنة بينهما على أهمية

الدمج: أي أن الجماعة تُوجّه، لكن الفرد يُفاوض، ما يُعيد طرح الحاجة إلى نظرية لغوية مزدوجة تأخذ بالبنية والسلوك.

4-4. اللغة والسلطة الاجتماعية: الطبقة، الجندر، التعليم

لم يطور ماييه تحليلاً عميقاً لمسألة السلطة اللغوية أو علاقتها بالطبقة، لكن إشارات لارتباط اللغة بالحضارة تفتح المجال للتأويلات (Meillet, 1937, p. 56)، وفي المقابل، طوّر لابوف أطروحة قوية حول التمييز الطبقي عبر اللغة، حيث أظهر أن النطق والمعجم والمفردات تُستخدم كأدوات ترقية اجتماعية أو وصم (Labov, 1966, p. 89). كما أدرج لابوف الجندر في تحليله، مشيراً إلى أن النساء أكثر ارتباطاً بالمعيار اللغوي، وأكثر حساسية للانتظارات الاجتماعية (Labov, 2001, p. 293)، ووسّع تحليله إلى حقل التعليم، فبيّن أن النظام المدرسي يعاقب من لا يمتلك «الكود اللغوي الصحيح»، ما يؤدي إلى فشل مدرسي طبقي الطابع (Labov, 1982, p. 32)، غير أن هذا البُعد السلطوي غير حاضر عند ماييه، ما يعني أن التحليل اللساني الاجتماعي المعاصر يحتاج إلى الاستفادة من لابوف لإعادة تفعيل البعد النقدي داخل النظريات البنيوية.

5-4. حدود المقاربتين وإمكانات الدمج النظري والمنهجي:

تكمّن قوة ماييه في تأصيله النظري العميق للغة كظاهرة اجتماعية، لكنه بقي حبيس التحليل التاريخي دون مقارنة ميدانية قابلة للتكرار (Calvet, 1993, p. 52)، وعلى العكس من ذلك طوّر لابوف أدوات رصد دقيقة، لكنه أغفل أحياناً الأبعاد التاريخية البنيوية، واكتفى بـ«التصوير الفوري» للواقع اللغوي (Tagliamonte, 2006, p. 12).

تتكامل المقاربتان حين نربط بين: تحليل البنية العميقة (ماييه) وملاحظة الأداء المتغير (لابوف)، مما يُنتج ما يمكن تسميته بـ«السوسiolسانيات المتقاطعة»، إذ تُظهر المقارنة أن الدمج بين نظريتي ماييه ولابوف يمكن أن يُفضي إلى مقارنة ثلاثية الأبعاد: لغوية - اجتماعية - تداولية، تصلح لفهم اللغة كهوية وصراع وممارسة، وعليه ينبغي أن تُركز الأفاق البحثية المستقبلية على المقارنة بين المدارس المختلفة، والانتقال من الثنائية (نظرية/تطبيق) إلى جدلية متكاملة تُغني الحقل. كما يمكن تطوير منهجيات بحث تجمع بين تاريخية ماييه وميدانية لابوف في دراسة المجتمعات غير الغربية (كالمجتمعات المغاربية مثلاً) حيث تتقاطع الحداثة والهوية واللغة.

خاتمة عامة:

أظهرت القراءة النقدية التحليلية أن الجذور النظرية للسانيات الاجتماعية الأمريكية لم تنشأ من فراغ، بل تفاعلت بشكل غير مباشر مع الإرث السوسiolوحي الأوروبي الذي مثله ماييه، كما حاولنا معالجة الفجوة البحثية المتمثلة في غياب دراسة جدلية تجمع بين البعد النظري لدى ماييه والبعد الميداني لدى لابوف، فعادة ما يُقرأ ماييه كلساني تقليدي، ويُفصل عن لابوف الذي يُقدّم بوصفه مؤسساً للسانيات الاجتماعية، بينما أظهرت المقارنة تواصلاً خفياً في المفاهيم.

أبرز ما يهيه مبكرًا أن اللغة تُنتج اجتماعيًا وتُعاد هيكلتها من خلال قوى الجماعة. أما لابوف، فقد أعاد الحياة لهذه الفكرة من خلال العمل الميداني، متجاوزًا الطابع التأملي، ومثبتًا أن التغيرات اللغوية اليومية ما هي إلا تعبير حي عن ديناميات اجتماعية عميقة. في المقابل، أبرزت المقارنة أن غياب التحليل الميداني التجريبي عند ما يهيه حدًا من إمكانية تطبيق أفكاره في السياسات اللغوية أو التعليم، بعكس لابوف الذي طوّر نموذجًا قابلاً للقياس، والتحقق، والملاحظة المتكررة، ما جعل مقارنته أكثر راهنية في السياقات التطبيقية.

إن اللسانيات الاجتماعية لا يمكن أن تُبنى لا على التأمل وحده، ولا على الإحصاء وحده، بل تحتاج إلى تزاوج حقيقي بين العمق المفاهيمي والتقنيات الميدانية. وهنا تكمن أهمية الربط بين ما يهيه ولابوف بوصفهما صوتين متكاملين، وبالتالي فالتقاء المنهجين- رغم تباعد الزمن والأسلوب- يؤسس لطرح سوسيولساني جديد يربط بين أصل التغير (ما يهيه) ومساره في الواقع (لابوف)، وهذه العلاقة غير المستكشفة بين جذور النظرية ومساراتها التطبيقية يمكن أن تُحدث تجديدًا في التكوين الجامعي للحقل. نعتقد أن معظم الأبحاث الحالية في اللسانيات الاجتماعية تميل للتطبيق دون تأصيل، ما يؤدي إلى فقدان البُعد الفلسفي للنظرية، لذلك، فإن العودة إلى مفكر مثل ما يهيه تسمح باستعادة الجذور الاجتماعية للغة ضمن إطار معرفي صارم، وفي المقابل، يلفت عمل لابوف إلى ضرورة إخراج علم اللغة من «البرج العاجي الأكاديمي»، والنزول إلى الواقع اللغوي الحي، حيث يُعيد الأفراد تشكيل معانيهم وهوياتهم من خلال اللغة، إنها دعوة صريحة لتحرير الحقل من التصورات الجامدة.

توصيات الدراسة:

من بين الآفاق البحثية المقترحة، تبرز ضرورة إجراء دراسات مقارنة بين مدارس سوسيولغوية غير أنغلوساكسونية، كالفرانكفونية، والألمانية، والمغربية، لفهم كيفية تمثّل اللغة بوصفها علامة على الانتماء والمقاومة عبر الثقافات المختلفة. وتشير هذه المقارنة إلى أهمية تجديد أدوات البحث، عبر دمج التحليل الكيفي والكمي، النظري والميداني، والتاريخي واليومي؛ فالفصل بين هذه الأبعاد أدى إلى تجزئة المعرفة اللغوية بدل تكاملها، مما يؤثر سلبيًا على فعالية السياسات اللغوية.

تبرز التكنولوجيا، في هذا السياق، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي، كأداة جديدة تسهم في إعادة تشكيل الاستعمال الاجتماعي للغة. فقد أظهرت دراسة بنيرد وزملائه (Benaired, Benbali, & Zian, 2024, p. 447) أن الذكاء الاصطناعي يُسهم في إزالة الحواجز اللغوية وتعزيز التفاهم بين مجتمعات لغوية متباينة. هذا الدور يلتقي من جهة مع رؤية ما يهيه التي تؤكد أن المعنى لا ينبثق من اللغة ذاتها بل من السياق الاجتماعي الذي تُستعمل فيه، ومن جهة أخرى مع تصور لابوف الذي يبرز أهمية العوامل الاجتماعية - كالعمر، والانتماء الطبقي- في تحديد طرائق الكلام. ومن ثم، يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعي وسيطًا جديدًا يعيد تشكيل الخارطة التداولية داخل المجال الاجتماعي، ويفتح أفقًا جديدًا للسانيات الاجتماعية يتجاوز فيه الانقسام بين البنية والاستعمال، وبين التقنيات الحديثة والسياقات الثقافية المحلية.

تبرز كذلك أهمية العودة إلى الفاعل اللغوي المحلي، بدل فرض نماذج معيارية عالمية لا تعبّر عن الديناميات الثقافية الخاصة. ففي كل مجتمع، تتفاعل اللغة مع الجندر، والطبقة، والدين، والسلطة بطريقة مميزة، مما يتطلب حساسية نظرية وسوسiolوجية عالية. كما أن إعادة التفكير في تدريس اللسانيات الاجتماعية، الذي غالبًا ما يبدأ من لابوف ويغفل من سبقه يمثل خطوة ضرورية لفهم تطور المفاهيم. فتدريس ماييه إلى جانب لابوف يمنح الطلبة منظورًا تاريخيًا أعمق، ويُنتي لديهم فهمًا جدليًا للعلاقة بين اللغة والمجتمع.

**

المراجع والمصادر:

الكتب:

1. Ager, D. (2001). *Motivation in Language Planning and Language Policy*. Clevedon: Multilingual Matters.
2. Berrendonner, A. (1999). *Langue, discours, société*. Paris: PUF.
3. Bourdieu, P. (Paris). *Ce que parler veut dire: L'économie des échanges linguistiques*. 1982: Fayard.
4. Calvet, L. -J. (1993). *Sociolinguistique aujourd'hui: Une introduction*. Paris: Hachette.
5. Cohen, M. (1956). *Pour une sociologie du langage*. Paris: Albin Michel.
6. Joseph, J. E. (2002). *From Whitney to Chomsky: Essays in the history of American linguistics*. Amsterdam: John Benjamins.
7. Labov, W. (1982). *Language in the Inner City: Studies in the Black English Vernacular*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
8. Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
9. Labov, W. (2001). *Principles of Linguistic Change, Volume II: Social Factors*. Oxford: Blackwell.
10. Labov, W. (1966). *The Social Stratification of English in New York City*. Washington: Center for Applied Linguistics.
11. Meillet, A. (1921). *Introduction à l'étude comparative des langues indo-européennes*. Paris: Klincksieck.
12. Meillet, A. (1937). *Introduction à l'étude comparative des langues indo-européennes*. Paris: Hachette.
13. Meillet, A. (1912). *Linguistique historique et linguistique générale*. Paris: Champion.
14. Pinault, G.-J. (2017). Antoine Meillet, *Linguistique historique et linguistique générale*. Tome I (1921–1926) et tome II (1936) et tome II (1936). Édition préparée, présentée et indexée par Pierre Ragot. *Histoire Épistémologie Langage* V 39(1), 177-180.
15. Tagliamonte, S. (2006). *Analysing Sociolinguistic Variation*. Cambridge: CUP.
16. Vendryes, J. (1923). *Le Langage, introduction linguistique à l'histoire*. Paris: Alcan.

المقالات العلمية:

محمد، زيان. (2018). إسهامات أنطوان ماييه وويليام لابوف في علم الاجتماع اللغوي. دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية، المجلد 10، العدد 4، 374-383. <https://asjp.cerist.dz/en/article/68475>

Benaird, A., Banbali, S., & Zian, M. (2024). Al: Bridging Societies for a Brighter Future. *Djoussour El-maarefa* vol10, N1, 444-453. <https://asjp.cerist.dz/en/article/242968>.